الضمير المتصل وحركته وصلا

تنقسم الضمائر المتصلة بحسب مواقعِ الإعراب إلى ثلاثة أقسام:

١- ما يختص بمحل الرفع.

٢- وما هو مشترك بين محل النصب والجر والرفع.

٣- وما هو مشترك بين الثلاثة[١].

وقبائل العرب قد اختلفوا حول هذه الضمائر، واستعملوها على أوجه متعددة.

أ- فقبائل عربية قد اتخذت من الألف والواو والنون علاماتٍ تلحق الأفعالَ للدلالة على نوعية الفاعليين من مثنى ومجموع مذكرا أو مؤنثا..

وسيأتى الحديث عن ذلك فى باب الفاعل.

ب- وأخرى قد اختلفت وصلا ووقفا فى بعض صور الضمائر المتصلة كالتاء وكاف المخاطب وهاء الغائب بأنواعه المختلفة فألحقوها زيادات أو حذفوا منها حروفا.

والمألوف أن تُجْرَى الألفاظُ فى الوصل على حقائقها دون الوقف إذ هو مظنة التغيير والإبدال إضافة إلى أن حال الوصل أعلى رتبةً من حال الوقف فلذا كان الوصل عندهم أشرفَ وأقومَ وأعدلَ من حال الوقف، ولهذا تأخذ الكلمة حظها من الوفاء والكمال أثناء الوصل غير أن بعضا من القبائل العربية قد أجرت الوقف على أنواع من الضمائر المتصلة أحكام الوقف أثناء الوصل[٢].

١- **فالتاء: ضمير بارز مرفوع متصل**، والأصل فيه أن تكون علامته مفتوحة إذا استعمل للخطاب، وإنما كسرت فى المؤنث للفرق بينه وبين المذكر، ولما كان قد وقع الفصلُ بينهما بنفس الحركة لم يُحْتَجْ إلى فاصل آخر وكانت الفتحة خاصةً بها.

---

(١) همع الهوامع ١: ٥٦ وما بعدها.

(٢) الخصائص ٢: ٣٣١.

على أن بعضَ العرب قد أَلْحَقَتْ هذا الضميرَ الذى للمؤنث إذا اتصلت بضمير مرفوع مفصول أو لم يتصل به ياء، قال:

رَمَيْتِيْهِ فَأَقْصَدْتِ وَمَا أَخْطَأْتِ الرَّمْيَةَ(*)

وقد ذكر سيبويه هذه اللغةَ نقلا عن الخليل ولم ينسبْها إلى قوم بأعيانهم، إلا أن أبا عبيدة قد كشف غموضَ تلك النسبة:

فقد حكى أنها لغة لعدى الرباب. قال: تقول:

انتى فعلتي ذاك وضربتيه(١)

٢- حكى سيبويه: أن ناسًا من العرب يلحقون الكاف التى هى علامة الإضمار إذا وقعت بعدها هاء الإضمار ألفًا فى التذكير، وياء في التأنيث لأنه أشد توكيدا فى الفصل بين المذكر والمؤنث وذلك قولك: أعطيكيها، وأعطيكيه للمؤنث، وتقول فى التذكير أعطيكاه وأعطيكاها(٢)، وأنشدوا على هذه اللغة:

بِسَهْمَيْنِ مَلِيْحَيْنِ أَعَارَتْكِيْهُمَا الظَّبْيَةُ(**)

وذهب بعض الباحثين إلى أن ذلك من إشباع الفتحة والكسرة(٣).

---

(١) شرح اللمع -لابن الدهان النحوى- نسخة مصورة بمكتبة جامعة الإمام تحت رقم ٦٨٤.

(٢) الكتاب ٢: ٣٩٦، شرح المفصل ٩/ ٨٧.

(٣) الخزانة ٢: ٤٠١.

(*) البيت قد أورده البغدادى فى الخزانة ٢: ٤٠١ مع آخر

بسهمين مليحين أعارتكيهما الظبية

كما أنشده مكي بن أبي طالب فى إعراب مشكل القرآن ١: ٤٤٩.

وأقصدت: أصبت. والمعنى: قتلت.

والشاهد فيه: إشباع الكسرة حتى تولد عنها حرف.

(**) بسهمين: تثنية سهم: وهو واحد النبل، وقيل: هو نفس النصل ويقصد بهما ههنا عيني الظبية.

مليحين: أى حسنين بهيجين.

وأعارتك: من الإعارة بمعنى أعطتكهما.

والشاهد: إشباع كسرة كاف المخاطبة المؤنثة حتى نشأت عنها ياء.

قيل: وذلك كان لغة لبعض العرب.

ويرى سيبويه: أن هذه اللغةَ قليلة وأجودُ اللغتين وأكثرُهما أن لا تلحق حرف المد فى الكاف وإنما لزم ذلك الهاء فى التذكير كما لحقت الألف الهاء فى التأنيث والكاف والتاء لم يفعل بهما ذلك وإنما فعلوا ذلك بالهاء لخفتها وخفائها لأنهما نحو الألف[1].

٣- وبعض العرب يكسر الكافَ في غير المفرد إذا انكسر ما قبلها حملا على الهاء، قال الحطيئة:

وَإِنْ قَالَ مَوْلاَهُمْ عَلَى جُلِّ حَادِثٍ مِنَ الدَّهْرِ رُدُّوا فَضْلَ أَحْلاَمِكِمْ رَدُّوا[*]

ولعل ذلك لأن الكاف مهموسة مثل الهاء، وكانت علامة إضمار مثلها، وقد وقعت بعد الكسرة فأتبع الكسرة الكسرة حيث كانت حرف إضمار، وكان أخف من أن يضم بعد أن يكسر.

وعزا سيبويه والمبرد وابن الدهان[2] والسيرافى[3] ومن تابعهم هذه اللغة إلى أناس من بكر بن وائل من ربيعة فيقولون: أحلامكم وبكم شبهوها بالهاء لأنها علم إضمار، قال سيبويه:

وهى رديئة جدا لأنها لم تشبهها فى الخفاء الذى من أجله جاز ذلك فى الهاء وإنما ينبغى أن يجرى الحرف مجرى غيره إذا أشبهه فى علته[4]، وتابعه المبرد في ذلك وقال: إنه غلط فاحش منهم ومردود عند أهل النظر[5].

٤- ونقل النحاة اختلاف بعض القبائل العربية حول حركة ضمير الغيبة المفرد المتصل في حالة الوصل إذا انكسر ما قبله أو كان ما قبله ياء في نحو: به، وله، أو فيه، ولديه..

---

(١) الكتاب ٢: ٢٩٦.

(*) البيت من شواهد الكتاب ٢: ٢٩٤، وقد نسب إلى الحطيئة.

ورأيته فى ديوانه ٤٤ - ط بيروت- وهو فى مدح آل سيار والمولى هنا: ابن العم إذا اعتبوا على ابن عمهم وأحوجه الزمان إليهم عادوا بفضل حلومهم.

والشاهد: أحلامكم: حيث كسروا الكاف منها تشبيها لها بالهاء إذا قال: أحلامهم لأنها أختها في الإضمار، ومناسبة لها بالهمس، وهي لغة ضعيفة لأن أصل الهاء الضم، والكسر عارض فيها بخلافها فحمل الكاف عليها بعيد ضعيف لأنها أبين منها وأشد.

(٢) شرح اللمع. (٣) شرح السيرافى ٢: ٢٩٥.

(٤) الكتاب ٢: ٢٩٤. (٥) المقتضب ١: ٤٠٤ وما بعدها.

١- فقد ذكروا: أن أهل الحجاز يبقون الضَمَّ فى نحو بهو ولديهومن كل ضمير كُسِرَ ما قبله أو كان ياء[١]، فيلحقون علاماتِ الإشباع من الواو والياء بهذه الضمائر، والمشهور أن إبدال الواو والياء فى نحو بهي فى لغة العرب لخفاء الهاء، فكأن الكسرةَ وليتها وقد لا تقلب بل يؤتى بها مع الكسرة واوا فيقال: بِهُو وفِيْهُو[٢].

وقد نقل عن ابن كثير -قارئ مكة- أنه يصل الهاء بياء فى الوصل إن كان الساكن قبل الهاء ياء وواوا، إن كان غير ياء[٣] نحو:

فِيْهِ هُدَىً، وعَلَيْه، وَفِيْه أَيَاتٌ، ﴿**اجْتَبَاهُ**﴾ [النحل: ١٢١]، ﴿**وَهَدَاهُ**﴾ [النحل: ١٢١] ﴿**خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ**﴾ [الدخان: ٤٧].

بالياء في الثلاث الأولى وبالواو في الباقي وقد قرأ حفص ﴿**وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ**﴾ [الكهف: ٦٣] ﴿**وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ**﴾ [الفتح: ١٠] بالضم في الموضعين[٤].

وهى قراءة الكسائى وخلف والزهرى وحمزة وقرأ بها عاصم في رواية حفص.

٢- وَيَكْسِرها الباقون من غير أهل الحجاز بعد الياء والكسرة، ويضمونها بعد غيرها من غير صلة[٥]، وهى قراءة الجمهور، ووافق حفصٌ ابنَ كثير على الصلة في حرف واحد وهو قوله تعالى[٦] ﴿**فِيهِ مُهَانًا**﴾ [الفرقان: ٦٩].

ونسب بعض النحويين حذفَ الوصل من الواو والياء بعد المتحرك مع بقاء الضم والكسر إلى بني عقيل وكلاب[٧].

---

(١) شرح الكافية ٢: ١١، همع الهوامع ١: ٥٩.
(٢) المرتجل ٣٣٩.
(٣) شرح الكافية ٢: ١١.
(٤) النشر ١: ٣٠٥، البحر ٦: ١٩٦.
(٥) شرح الكافية ٢: ١٢، النشر ١: ٣٠٥، التسهيل: ٢٤.
(٦) النشر ١: ٣٠٥.
(٧) شرح الكافية ٢: ١١. التسهيل: ٢٤.

٣- وحذف بعضهم الياء منها، وأشموا الهاء شيئا من الكسر[١].

٤- وأسكنها آخرون بعد المتحرك وبها قرأوا: ﴿يُؤَدِّهِ﴾ [آل عمران: ٧٥]، ﴿نُؤْتِهِ﴾ [آل عمران: ١٧٥] ﴿نُوَلِّهِ﴾ [النساء: ١١٥] ﴿وَنُصْلِهِ﴾ [النساء: ١١٥]، ﴿فَأَلْقِهْ﴾ [النمل: ٢٨] ﴿أَرْجِهْ﴾ [الأعراف: ١١١].

وهي قراءة أبي عمرو وعاصم وحمزة وأبي بكر والأعمش وكذا روي عن هشام من بعض الطرق.

وقد نقلوا على أنها لغة لبني عقيل وبني كلاب، وقد ذكرها ابن السراج في الأصول، وابن جني في الخصائص والمحتسب وغيرهما[٢].

قال ابن جني نقلا عن أبى الحسن إنها لغة لأزد السراة[٣].

وجعله سيبويه والمبرد -وتابعهما ابن السراج- من قبيل الضرورة[٤].

وقد جاء في الشعر حذفُ الواو والياء الزائدتين في الوصل مع الحركة كما هي في الوقف سواء. قال رجل من أزد السراة:

فَظَلْتُ لَدَى الْبَيْتِ الْعَتِيْقِ أُخَيْلُهو ... وَمَطْوَايَ مُشْتَاقَانِ لَهْ أَرِقَانُ[٥](*)

٥- وكسرها بعض العرب بغير صلةٍ بياء وهي قراءة نافع وأبي جعفر ويعقوب وقالون وحفص وعمر بن فائد والحسن وهشام في: ﴿يَتَّقْهِ﴾ [النور: ٥٢] إلا أن حفصا يشترط سكون القاف من نحو ذلك[٦].

---

(١) نفسه ٢: ١١.

(٢) شرح الكافية ٢: ١١، الخزانة ١: ٤٠١، النشر ١: ٣٠٥.

(٣) الخصائص: ١: ٣٧٠.

(٤) الكتاب ١: ١١ المقتضب ١: ٤٠١ وما بعدها.

(٥) الخصائص ١: ٣٧٠، الخزانة ٢: ٤٠٢.

(*) نسب هذا البيت لـ: يعلى الأحول الأزدي.

وقد روي بدل: أخيله: أريقه وأريغه أيضا، وأريقه: وهو نظير الشيء وصاحبه، وأرقان: مثنى أرق، وهو وصف من الأرق وهو السهر والشاهد: تسكين الهاء في «له» وهي لغة لبني عقيل وبني كلاب وغيرهم.

(٦) البحر ١: ٢٦.

أما حركة ميم الجمع الواقعة بعد الياء أو الكسرة -التى هي بعض الياء- في نحو عليهم وبهم. . . فإن وقف عليها فلابد من تسكينها بعد حذف صلتها كما هو شأن جميع الضمائر[١].

فإن لم يُوْقَفْ عليه فالنقل عن العرب أثبت اختلافَ ألسنتهم مع حركتها على مذاهب:

إذ لا يخلو إما أن يكون ما بعدها ساكنا أو متحركا فإن كان ما بعدها ساكنا فيجوز في ميمها لغتان:

١- كسر الميم لإتباع كسر الهاء عند غير الحجازيين ولالتقاء الساكنين، وهو الأشهر، وعليه القياس وبها قرأ أبو عمرو بن العلاء ﴿**وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ**﴾ [القصص: ٢٣] ﴿**عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ**﴾ [البقرة: ٦١] وهى قراءة عمرو بن فائد[٢].

٢- وهناك من ضمها من العرب نظرا إلى الأصل وبها قرأ باقي القراء وهي قراءة الأعرج والخفاف عن أبي عمرو[٣]، وتَتَرَجَّحُ عند ضم هاء الغيبة على لغة أهل الحجاز وهو القياس حينئذ والأشهر للاتباع والنظر إلى الأصل وكسرها في هذه الحالة قليل وَمَنَعَهُ أبو على[٤].

٦- أما الهاء مع المثنى والجمعين:

فللعرب فيه معهما لغات:

١- فقد حكى أبو علي أن ناسا من بكر بن وائل يكسرون الهاء مع المثنى والجمعين نحو: مِنْهِما - مِنْهِم - مِنْهِن، وذلك اتباعا للكسر.

ونسبها قوم إلى ربيعة، قال سيبويه: واعلم أن قوما من ربيعة يقولون:

مِنْهِم، أتبعوها الكسرة ولم يكن المسكن حاجزا حصينا، وهذه لغة رديئة[٥].

---

(١) شرح الكافية ٢: ١٢.

(٢) حجة القراءات ٨٢، البحر ١: ٢٦، شرح الكافية ٢: ١٢.

(٣) المراجع السابقة.

(٤) شرح الكافية ٢: ١٢.

(٥) الكتاب ١: ١٩٤.

٢- أما أهل الحجاز: فإنهم يضمون الهاء في جميع ذلك فيقولون: إن غلاميهُما، وغلامِهُم، وغلاميهُن، وغلامهُما، وبغلامهُم، وبغلاميهُن. قالوا: وحمزة يخص بالضم جمع المذكر ثلاث كلمات:

عليهم وإليهم ولديهم، قيل ذلك لكون الياء فيها بدلا من ألف فأعطى الياء حكم أصلها[١].

وإن أتى بعدها متحرك... ففيها عشر لغات:

١- الإسكان: وهو الأشهر في نطقها حينئذ، وعليه قوله تعالى: ﴿**عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ**﴾ [الفاتحة: ٧]، و﴿**عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ**﴾ [التوبة: ٩٨] وهى قراءة الجمهور، ووافقهم حمزة، إلا أنه ضم الهاء منها[٢].

٢- وضمها بإشباع بعض العرب نحو ﴿**عَلَيْهِمُو غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمُو**﴾ قيل: وهى قراءة ابن كثير وقالوا بخلاف عنه[٣].

وقد عَزَوا هذا الأسلوب من الكلام إلى أهل الحجاز[٤].

٣- وبعض العرب قد أشبع ميمَ هذا الجمع الكسر اتباعا لكسرة الهاء، قيل: وهو القياس، وبها قرأ الحسن وزاد ابن مجاهد أنها قراءة عمرو بن فائد[٥].

وقرأ أبو عمرو بكسر الهاء والميم بدون إشباع لها[٦]، وقد لخَّصَ ابنُ جنى في أمثال ذلك عشر قراءات جَمَعَها نقلا عن أبي بكر أحمد بن موسى وأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش وهى: عليهم - عليهم - عليهم، بضم الميم من غير إشباع إلى الواو -عليهم: بسكون الميم مع ضمة الهاء - عليهمى - عليهم، بكسر الهاء وسكون الميم - عليهمو -بكسر الهاء وواو بعد الميم - عليهم - مكسورة الهاء مضمومة الميم من غير واو.

---

(١) شرح الكافية ٢: ١٢.
(٢) حجة القراءات ٨٢، البحر ١: ٢٦.
(٣) نفس المراجع السابقة.
(٤) شرح الكافية ٢: ١٢.
(٥) البحر ١: ٢٦، شرح الكافية ٢: ١٢، شرح اللمع. مصورة بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم ٩٨٤ نحو.
(٦) حجة القراءات ٨٢.

وزاد أبو الحسن الأخفش ثلاثة أوجه:

عليهمى: بضم الهاء وميم مكسورة بعدها ياء - عليهم: بضمة الهاء، وكسرة الميم من غير إشباع إلى الياء - عليهم: بكسرة الهاء وكسرة الميم أيضا من غير بلوغ ياء[1].

أما الهاء -ضمير الغائب - فى نحو منه - لدنه - له - به - ضربه... فقد عزا أبو على كسَر الهاء بعد سكون ما قبلها إلى ناس من بكر بن وائل إذ نُقِلَ عنهم أنهم يقولون: من لدنه، منه بكسر الهاء[2]، واختار الخليل وسيبويه اتمامَ الواو حينئذ وهو عندهما أجود لأنها قد خرجت من حروف اللين[3]، واختار المبرد الحذف وهو عنده أحسن[4].

وهناك من اختلسها في نحو له وبه.. فأشمها شيئا من الضم وهى أقلها، وعليها قراءة رويت عن نافع وحمزة ويعقوب وحفص ورواها سائر الرواة واتفق عليها أئمة الأمصار، والمنقول أنها لغة لبعض العرب، فقد روى الكسائى: أن اختلاس الضمة والكسرة بعد متحرك لغة عن بنى عقيل وبني كلاب، وسمعت أعراب كلاب وعقيل يقولون:

﴿إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦][5] بالوجهين، ولهُ مال، ولهْ مال.

وغير بني كلاب وعقيل لا يوجد في كلامهم اختلاسٌ ولا سكونٌ في «له» وشبهه إلا في ضرورة.

ومذهب سيبويه والمبرد: الإثبات إذا كان الحرف الذى قبل الهاء ياء متحركا لأن الحركة حاجزة بينهما نحو: «رأيت قاضيهُو يا فتى، وكلمت غازيَهُو»[6].

---

(١) المحتسب ١: ٢٧٠.

(٢) شرح الكافية ٢: ١١.

(٣) الكتاب ٢: ٢٩١، المقتضب ١: ٤٠١.

(٤) المقتضب ١: ٤٠١.

(٥) مجموعة الشافية من علم الصرف والخط - ١: ١٨٥.

(٦) المقتضب ١: ٤٠٠، الكتاب ٢: ٢٩٥.

أما هاء -الضمير الغائبة المتصل:

فإن الألف والفتحة تلزمان هذه الهاءَ للفصل بين المؤنث والمذكر[1]، وبعض القبائل العربية قد خالفت فيه ما سواه من الضمائر المتصلة فلم تَعْمَدْ إلى إشباع حركة هذا الضمير كما فعلت مع غيره من أخواته إذا لحقوها الواو أو الياء أو الألف فقد ورد عن بعضهم أنهم قد حذفوا الألف منه كقوله:

والكرامةُ ذات أكرمكم الله بَهْ

والأصل بها فَحَذَفَ الألفَ وألقى حركةَ الهاء على الباء وقد نسبوا ذلك إلى طيء، وأنشدوا لعامر بن جوين الطائي:

فَلَمْ أَرَ مِثْلَهَا خُبَاسَةَ وَاحِدٍ وَنَهْنَهْتُ نَفْسِي بَعْدَ مَاكُدْتُ أفعَلَهْ(*)

قالوا: إن المراد - أَفْعَلَهَا -يعنى الخصلة، فحذف الألف وألقى فتحة الهاء على ما قبلها.

قال ابن دريد: هكذا لغة طيء يقولون: كدت أَضْرِبَه إذا عنوا المؤنث إذا أرادوا أن يقولوا: كدت أَضْرِبُهَا[2].

ونسبوا إلى طرفة أنه قال:

فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ رَأَيْتُ بِدَارِ قَوْمِي نَوَائِبَ كُنْتُ فِي لخَمٍ أَخَافَه(**)

فحذف الألف وألقى حركة الهاء على الفاء والأصل: أخافها.

---

(١) المقتضب ١: ٤٠٠.

(٢) الجمهرة فى اللغة ١: ٢٣٤.

(*) البيت قد نسب في بعض المصادر إلى عامر بن جوين الطائي:

والخباسة: المغنم، ونهنهت: أمسكت. وكدت أفعله: أراد فعلها، وهى لغة طيء، يقولون كدت أضربه في خطاب الأنثى والمراد: أضربها، فحذفوا الألف من الهاء.

(**) نسبوا هذا البيت إلى طرفة بن العبد، ولم أجده في ديوانه رواية الشنتمرى. والنوائب: جمع نائبة، وهو اسم يطلق على كل ما ينزل بالمرء من الحوادث والمصائب والمهمات، ولخم: اسم قبيلة يمنية تنسب إلى جذام من كهلان وهي التي أسست ملك الحيرة على الفرات.. والشاهد: فى أخافه: والأصل أخافها بضم الفاء وبضمير المؤنثة الغائبة فوقف الشاعر بنقل الحركة.

وهذا التأويل في هذا البيت حكاه أبو عثمان عن أبي محمد التوزي عن الفراء كما حكى أن بعض العرب قتل رجلا يقال له: مرقمة وقد كلفه وآخر أن يبتلعا جردان الحمار فامتنعا فقتل: مرقمة، فقال الآخر: طاح مرقمة فقال له القاتل: وأنت أن لم تلقمه، يريد: تلقمها فحذف الألف وألقى حركة الهاء على الميم.

ونسبها الأنبارى: إلى قبيلة لخم[1]:

ومقتضى هذا أن هذه الظاهرة قد نُسِبَتْ إلى لخم كما قد عُزِيَتْ إلى طيء فهي لغة مشهورة لبعض العرب إلا أن سيبويه قد خرج بيت عامر بن جوين الطائي إلى أن الشاعر قد نصب الفعل أفعله بأن مضمرة ضرورة، لأن الشعراء قد يستعملون أن ههنا مضطرين كثيرا[2]، والصحيح أنها لغة بناء على تأكيد كثير من أئمة العربية على نسبتها إلى قوم من العرب معينين، وإنما يسوغ التأويل إذا كانت الجادة على شيء ثم جاء ما يخالف ذلك فيلتمس له التأويل ويبحث له عن تخريج أما ما يثبت على أنه لغة لقوم من العرب فلا يصح حينئذ التأويل ولا يقبل التخريج[3].

****

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف ٢: ٥٦٨.

(٢) الكتاب ١: ١٥٥.

(٣) انظر المزهر ١: ٢٥٨.